هبة السماء

(أُلقيت في حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقي بك بمسرح حديقة الأزبكية).

راحـوا بـأرواحٍ ظمـاءْ يتهـافتـون على الفنـاءْ
جـفَّت حـلوقٌ بـعـدهـم لـم تـلقَ دونـهـمُ رَواءْ
وامـاً لكـأسٍ كـالخُـلو د ومنهـلٍ فيـه الشفـاءْ
كـنّـا إذا ضـجَّ الـفـؤا دُ وضـاق بـالـدنيـا ونـاءْ
نـمضـي إليـه فـنستقـي ونَعُبُّ منـه كمـا نشـاءْ
فـاليـومَ إذْ شطَّ المـزا رُ بكم وقـد عـزَّ اللقـاءْ
وبخلْتُـمُ بُخْـلَ الـضَّنينِ فحسْبُنـا قَـطَراتُ مـاءْ!

* * *

أَيـن الأميـن على الإمـا رة والحريصُ على اللواءْ؟!
قـبسٌ أضـاء العـالـمـي ـن كما تُضيءُ لهم ذُكاءْ
ثم اختفى خلف الغيـو ب مخلِّفـاً ظُلَمَ المساءْ
فكـأنمـا هبـة السّمـا ءِ قـد استردَّتها السَّماءْ!

* * *

جـزع الـريـاضُ لـطائـرٍ غنَّى فـأبـدعَ في الغنـاءْ
حـتى إذا خـلب العـقـو لَ وقيل: سِحرٌ لا مراءْ!
ولَّى عن الايـك الفخـو ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فكـأنَّـه والسُّـحْب تـط ـويه فيمعن في الخفاءْ
دنيـا من الأمـل الجميـ ـل قد استبدَّ بها العَفاءْ!
ووراءهـا شفقٌ من الـذ كـرى كجرحٍ ذي دِماءْ!
وتُسـائـل الـدُّنْيـا التي نـاطت بـه كـلَّ الـرَّجـاءْ
عـن أي سـرٍّ طـار عنْ هذي الرُّبى وعلام جاءْ؟!
قُم يـا فقيـدَ الشعـر وانْـ ـظُرْ أيّ حفـلٍ للرثـاءْ!
أَمَـمٌ يُصبِّـرُ بـعـضُـهـا بعضـاً، وهيهات العـزاءْ!

هـذي الجمـوعُ البـاكيـا ... تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قـاسمتهـا أشجـانـهـا ... ووفيت مـا شـاءَ الـوفـاءْ
أَوَ لَمْ تجـدكَ لسانهـا الـ ... ـشاكي إذا احتدم البلاءْ؟
أَوَ لَمْ تكـنِ غِـرِّيـدَهـا ... ونـديمهـا عنـد الصفـاءْ؟
لِمَ لا تـوفِّيـك الجميـ ... ـلَ وتَسْتَقلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُـنَعَّمٍ بيـن الـقـصـورِ ... قـد اسْتَتَمَّ لـه الثـراءْ
مـا بـالُـهُ حملَ الهمـو ... مَ وجشَّم القلبَ العنـاءْ!
وينـوءُ بـالعـبءِ الـذي ... هـو عن أذاه في غَنـاءْ!
ويـحَ الـذكـاءِ ومـا يكلِّـ ... ـفُـهُ من الثَّمَنِ الـذَّكـاءْ!
أضنى قـواه ولـم يـدعْ ... مـن جسـمـه إلَّا ذمـاءْ
والمجـد يوغـل في حنـا ... يـا، روحه والمجـدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدبِ الصميـ ... ـمِ له على الدنيا البقاءْ
الـدَّهـرُ يـحمـي ركنَـه ... والـفنُّ فـي روح البنـاءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرّ ... دِ والـتـفـوقِ والـعـلاءْ
ذاك الـرقـادُ بـسـاحـةٍ ... كـل الـرجـالَ بهـا سـواءْ
وبـرغـم ذهن كـالـفـرا ... شـة حول مصباحٍ أضاءْ
مثـواك لا تشكـو السكـو ... نَ ولا تمـل من الثـواءْ

* * *